1- مفهوم التمرد:

1-1-لغة:

ورد في معجم أساس البلاغة للزمخشري: هو" ماردٌ من المُرَّد، ومُتمرِدٌ، وشيطان مَرِيدٌ ومِرِيدٌ، وقد مَرَد يَمْرُد مُرُدا، مَرُد مَاردةً، وتمرَّد عليَّ ... وبنى تماريدَ للحَمَام وتِمرادًا، ومَرَّدْتُ لها تَمْرِيدًا".

وفي لسان العرب لابن منظور:" يقال لبرج الحَمَام التِمْراد، وجمعه التَّمَاريد، وهي كما قيل مَحَاضِين الحمام في الأبراج، وهي بيوت صغيرة يُبْنَى بعضها فوق بعض والمارد هو العاتي، ومَرُدَ الشيء يَمْرُدُ مُرُودًا ومَرادَةً فهو مارد ومَرِيدٌ، وتَمَرَّد أقْبَل وعَتَى، وتأويل المُرُود: أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف، وقال ابن الأعرابي: المَرَدُ التطاول بالكِبرِ والمعاصي، ويقال تمَرَّدَ علينا، أي عتى وطغى".

وبناء عليه نستنتج أن التمرد لغة يعني الخروج عن المألوف.

1-2- اصطلاحا:

أما عن مفهوم التمرُّد في الأعمال الفنية والنقدية، فإننا نجده " يدور حول محاور التجاوز والمعارضة والاحتجاج"، ولعل أهم ما يجب أن نبرزه في هذا الصدد هو أن التمرُّد في الفن " ليس ترفا إبداعيا يمارسه الفنان بقدر ما هو موقف وجودي يحاول أن يفهم العالم ككل، وأن يشمل نوعا من الجدل حول بعض جوانبه المعقدة التي تستعصي على الفهم، وهنا مناط الحركة في أدب التمرُّد: نعني أنه في أدب التمرُّد يقال: أن " اللامعقول" لا يوجد في الإنسان وهو لا يوجد كذلك في العالم، ولكنه يوجد في لقائهما معا، فالعالم أو قل بعض العالم مُتأَب بالضرورة على الفهم، والوعي الإنساني واعٍ يتأبَّى هذا العالم أو بعضَه بالضرورة على الفهم، وهنا جوهر المأساة أو ذروة الصدام، حيث يريد الوعي اكتشاف العالم ككل، بينما العالم ككل

محصَّن بلا قابلية الكشف، ومن هنا يندلع التناقض ويُشهر التمرُّد سيفه، ولقد حاولت أشياء كثيرة أن تقدم الحل، ولكن فكر التمرُّد كان أكثر استجابة للغضب، رفَض أن يكون الحل ميتافيزيقيا، ورفض أن يكون سكونيا، ورفض كذلك أن يكون نفيا مطلقا أو تأكيدا مطلقا، وحرص على شيء واحد هو أن يبقى الصراع المنبثق من اصطدام الوعي البشري بجدران العالم الكثيف قائما حتى لا يفقد التمرُّد صوته ومجاله، إنه لَيُؤكِد أن هذا الصراع يتضمن غياب الأمل غيابا كليا وهو غياب لا صلة له باليأس والرفض المستمر الذي لا يجب أن نخلطه بالتخلي وعدم الرضى بشكل واعٍ، وهو ما لا يجب أن يُقارَن بعدم الراحة الذي مصدره عدم النضج".

2- ظاهرة التمرد في الشعر العربي المعاصر:

لقد شهدت مسيرة الشعر العربي منذ عصورها القديمة محاولات تجديدية مختلفة، ظهرت أصداؤها في كتب النقد والدراسات الأدبية، وأشارت بشكل أو بآخر إلى العصر والبيئة مع ارتباطها الوثيق بأصول الشعر العربي. وكان عصر النهضة الأدبية منطلقا لحركات تجديدية تخطت كل محاولات التجديد السالفة، ومهدت لثورة الشعر الجديد التي ظهرت في ميدان الشعر العربي في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، على أيدي جماعة من الشعراء من أمثال نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، وهم رواد الشعر الحر، إضافة إلى جماعة الديوان، وجماعة أبولو، وجماعة المهجريين، ثم سار على نهجهم العديد من الأدباء في الشعر والنثر حتى عصرنا، ونعرض فيما يلي نموذجا لشاعر متمرد:

3-1- التمرد عند جبران خليل جبران:

لقد كان "جبران" " شاعرا متمردا على رجال السلطة، كما كان متمردا على رجال الدين وقد ثار على رجال الكهنوت المسيحي الذين انحرفوا بالدين"، رافضا الخضوع للطقوس الدينية، والتقاليد الاجتماعية، خاصة الدين الذي أصبح ستارا يتخفون وراءه لقضاء مصالحهم، ويظهر ذلك جليا في قصيدة "المواكب":

والدينُ في الناس حقلٌ ليسَ يزرعُهُ غيرُ الأُلَى لهم في زرعِهِ وَطَرُ

كأَنَّمَا الدينُ ضرْبٌ من متَاجِرِهِمْ إنْ واظَبُوا رَبِحُوا أو أهْمَلُوا خَسِرُوا

لقد كان همّ "جبران" الوصول إلى الحرية بكل أنواعها، فكريا، واجتماعيا، ودينيا، ولذلك نجده متمردا على الحياة، ويرى أنها لا تستقيم إن هي خلت من التمرد والحب والحرية، وبهذه العوامل يكون التغيير، ويتولَّد الإبداع، فـ"جبران" كما يقول" نسيب عريضة": " كان في شعره ونثره وفي كل حياته الكتابية متمردا يُعْرَفُ ذلك من طابع كتبه و منها:" الأرواح المتمردة والأجنحة المتكسرة، ففيها يقف "جبران" وأبطاله وبطولاته متمردين كل التمرد لا على عدو ظاهر حقير، بل على الحياة نفسها "، فقد كان يعتنق التحرُّر مذهبا في الحياة، فلم يكن تمرُّده فقط على رجال الدين والسلطة، بل تعداه إلى القصيدة العربية القديمة حيث دعا إلى الخروج عن قواعدها الفنية الموروثة، وكذا التحرُّر من عمود الشعر، و" دعا إلى أن يكون الشعر تصويرا لخلجات صاحبه لأن مداره العاطفة لا العقل، فهو يصف المشاعر، ويرسم الخواطر الذاتية، ويعبر عن الحياة ونوازعها دونما افتعال، أو زخرفة لفظية".

إن "جبران" المتمرد يريد التعبير عن ذاته بإحساسه الخاص، وليس بإحساس القدامى، حيث أعطى للشعر روحا جديدة، فصارت النزعة الذاتية مسيطرة على العمل الشعري، وصار شعره أقرب إلى الترجمة منه إلى التوليد والتجديد، فهو شعر الفطرة والموهبة والحياة [...] وقد جاء شعره تعبيرا صادقا عن تجربة نفسية ومعاناة شعورية، وبذلك يتخلى "جبران" عن كتابة القصيدة البيتية، ويتبنى القصيدة الجديدة "، ففي قصيدته " البلاد المحجوبة" نجده يختار موضوعه من الحياة، مبينًا فيها موقفه من المجتمع والمدنية، ومدى حنينه لبلاده، مستعينا بعناصر طبيعية في إظهار همومه وآلامه كما في قوله:

قد أَقَمْنَا العُمْرَ في وادٍ تَسِيرُ بينَ ضِلْعَيْهِ خَيَالاَتُ الهُمُومْ

وشَهِدْنَا البَأْسَ أَسْ اَ ربًا تَطِير فوقَ مَتْنَيْهِ كَعُقْبَانً وبُومْ

وشَرِبْنَا السُّقْمَ من ماءِ الغَدِيرْ وأَكَلْنَا السُّمَّ من فَ ج الكُرُومَ

ولَبِسْنَا الصَّبْرَ ثَوْبًا فَالْتَهَبْ فَغَدَوْنَا نَتَرَدَّى بالرَّمَادْ

ولعل من أخطر القضايا التي عرض لها "جبران" كواحد من المهجريين، هي قضية التحرر اللغوي" فاللغة العربية في صورتها الموروثة قد فقدت حيويتها عنده، وتحولت إلى مجرد رموز قاموسية لا قيمة لها، ولا يُعتَمد عليها في إقامة أدب عصري صحيح " ، ولهذا فقد حاول توظيف لغة جديدة في التعبير الشعري، توافق أفكاره وعواطفه، وتعبر عن الواقع الذي ولع به عندما حاول انتقاء مفردات من الكلام العادي ، حتى أنه " عُدَّ أبا اللغة المعاصرة". فهو الذي جعل اللغة إيحائية بعد أن كانت إيضاحية، وروحية نفسية بعد أن كانت معجمية عقلية "، وقد جعل من هذه اللغة أداة لمعالجة مشاكل العصر وقضاياه، " والإنسان مطالَب في كل عصر بأن يواجه الحياة بما يلائمها من السلوك، واللغة هي أوضح وأدل ظاهرة تتجمع فيها كل سمات الوجه الحضاري الذي تعيشه الأمة ففي عرف اللغة يعيش نبض العمر، ولذا نجده في قصائده يستخدم ألفاظا عادية من روح العصر كما في قصيدته "بالأمس" التي يقول فيها:

ليتَ شِعْرِي ! هل لِمَا مَرَّ رُجُوعْ أو مَعَادٌ لِحَبِيبً وأَلِيفْ

هل لنَفسِي يَقْظَةٌ بعدَ الهُجُوع لِتُرِينِي وَجْهَ مَاضِيَ المُخِيفْ

هل يَعِي أَيْلُولُ أَنغَامَ الرَّبِيعْ وعلى أُذْنَيْهِ أَوْ ا رقُ الخريفْ

ويَدُ الحَصَّادِ لا تُحْيِي الزُّهُورْ بعدَ أنْ تَبْرِي بِحَ د المِنْجَلِ.

أما الأسلوب عند "جبران" فإنه " يتصف بمميزات عامة وخاصة، تتغير حسب اللون الأدبي الذي يكتب فيه، فقد طوَّف الكاتب قلمه في حقول شتَّى منها ما يطغى عليها الطابع الوجداني أو الحدْسي، ومنها ما يغلب عليها العقل والمنطق " ، وبهذا فقد صار لـ"جبران"

طريقة جديدة في وصف الألفاظ، يعتمد فيها على الإيحاء، كما اعتمد طريقة خاصة في التشكيل، إذ أن الألفاظ عنده تأتي متناسقة متكاملة.

أمّا عن الأوزان الشعرية، فإننا نجد "جبران" قد جدَّد فيها، باعتباره واحدا من المهجريين الذين أشار" الدكتور الناعوري إلى ما فعلوه بأوزان الشعر وموسيقاه والى تلاعبهم بالتفعيلات وإلى تنوع القوافي في قصائدهم"، بل إنّ "جبرن" قد حاول التحرر من الوزن والقافية، كما في قصيدته "بالله يا قلبي" التي يقول فيها:

بالله يا قلبي أُكْتُمْ هَوَاكْ

واخْفِ الذي تَشْكُوهُ عَمَّنْ يراكَ تَغْنمْ

من بَاحَ بالأسْرار

يُشَابِهُ الأحمَقْ

فالصَّمْتُ والكِتْمَانُ

أحْرَى بِمَنْ يَعْشَقْ

لقد عاش "جبران" متمردا على كل شيء في الحياة، وقد ظلَّ يسير على هذا النهج طوال حياته.

مراجع المحاضرة:

أنظر إلى:

-فتيحة محمود: محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 187.

-مصطفى الزباخ: الرائد في دراسة الأدب الحديث، مكتبة المعارف المعرب، 1982.

-جبران خليل جبران: المواكب والمجنون، منشورات عالم الشباب، بيروت، لبنان، ط 2، 2000.

-حلمي مرزوق: تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2004.

-غسان خالد،: جبران الفيلسوف، مؤسسة نوفل، بيروت.

-جبران خليل جبران: المجموعة العربية الكاملة، دار صادر، بيروت، ط 1، 2002.

-عبد الحكيم بلبع: حركة التجديد في الشعر المهجري بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية للكتاب، 1980.

-سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2001.

-إيليا الحاوي: الرومانسية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 2، 1983.

-عز الدين إسماعيلن: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية المعنوية، دار العودة، بيروت، ط 3 ، 198.

-جميل جبر: جبران في عصره وآثاره الأدبية والفنية، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط 1، 1983.

-محمد عبد المنعم خفاجي: التجديد في الشعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2002.

-الزمخشري: أساس البلاغة، ج2، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1998.

-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.

-محمد أحمد العزب: ظواهر التمرد في الشعر العربي المعاصر.